



الكرسي الرسولي

عظة قداسة البابا فرنسيس

خلال القداس الإلهي بمناسبة اليوم العالمي للمهاجر واللاجئ

الأحد 29 سبتمبر/أيلول 2019

ساحة القديس بطرس

Multimedia

لقد ذكرنا مزموّر القراءات أن "الرّبّ يَحْفَظُ النَّزْلَاءَ"، والأرامل وأيتام الشعب. وبشير كاتب المزمور بوضوح إلى تلك الفئات الهشّة بشكل خاص، والتي غالباً ما تُتسى وتعرّض للإساءة. فالنّزلاء والأرامل والأيتام هم محرومون من حقوقهم ومُستبعدون ومُهْمَّشون، وبحظون باهتمام خاصّ لدى الرّبّ. ولذا فإنّ الله يطلب من الإسرائيليين أن يولوا اهتماماً خاصّاً بهم.

يحدّر الرّبّ الشعب، في سفر الخروج، من إساءة معاملة الأرامل والأيتام بأي شكل من الأشكال، لأنه يسمع صراخهم (را. 22، 23). ويتكرّر التحذير نفسه مرّتين في سفر التثنية (را. 24، 17؛ 27، 19)، ويضيف النّزلاء من بين الفئات المحميّة. أمّا السبب وراء هذا التحذير فيفسّره السفر بوضوح: إن إله إسرائيل هو "منصيف اليتيم والأرملة ومُجِبُّ النّزِيلِ، يُعْطِيهِ طَعَاماً وكسوةً" (10، 18). يظهر هذا الاهتمام المحبّ للأشخاص الأقل حظاً كسمة مميزة لإله إسرائيل، ويطلب أيضاً، كواجب أخلاقي، من جميع الذين يريدون الانتماء إلى شعبه.

ولذا فعلينا أن نولي اهتماماً خاصّاً بالنّزلاء، والأرامل والأيتام وجميع المهملين في أيّامنا هذه. ويتكرّر العنوان "الأمر لا يتعلّق بالمهاجرين وحسب" كلازمة في رسالة اليوم العالمي المائة والخامس للمهاجرين واللاجئين هذا. وهذا صحيح: الأمر لا يتعلّق بالمهاجرين وحسب، بل بجميع سكّان الضواحي الوجودية الذين، مع المهاجرين واللاجئين، هم ضحايا ثقافة الإقصاء. إن الرّبّ يطلب منّا أن نعيش المحبّة تجاههم؛ يطلب منّا أن نعيد لهم إنسانيتهم، مع إنسانيتنا، دون إقصاء أي شخص، ودون ترك أي شخص خارجاً.

إلا أن الرّبّ يطلب منّا، في نفس الوقت الذي نعيش فيه المحبّة، أن نفكّر في المظالم التي تولّد الإقصاء، ولا سيما في امتيازات قلة من الناس، والتي يدفع الكثيرون ثمن المحافظة عليها. "إن عالم اليوم يزداد يومياً نخبوّة وقساوة تجاه المستبعدين -إنها حقيقة مؤلمة: فهذا العالم يزداد يومياً نخبوّة، وقساوة تجاه المستبعدين- ولا تزال البلدان النامية تستنفد أفضل مواردها الطبيعية والبشريّة لصالح عدد قليل من الأسواق المتمايّزة. أمّا الحروب فلا تجتاح بعض مناطق العالم وحسب، ولكن الأسلحة التي تُستخدم يتمّ إنتاجها وبيعها في مناطق أخرى لا ترغب بعد ذلك في تحمّل مسؤوليّة اللاجئين القادمين من هذه الصراعات. والذين يدفعون الثمن هم دائماً الصغار، والفقراء، والأضعف، الذين يُمنعون من الجلوس على الطاولة ويترك لهم "فتات" الولايم" (رسالة قداسة البابا فرنسيس بمناسبة اليوم العالمي للمهاجرين واللاجئين).

بهذا المعنى، يجب فهم كلمات النبي عاموس القاسية، التي سمعناها في القراءة الأولى (6، 1. 4-7). الويل، الويل، الويل للمُطمئنين والأمينين في صهيون الذين لا يكثرثون لهلاك شعب الله، مع أنه يحدث تحت نظر الجميع. فهم لا يدرون بانهيار إسرائيل، لأنهم مشغولون للغاية بضمان عيشهم المرقه والطعام الشهى والمشروبات المكررة. من لافَت النظر، كيف أن هذه التحذيرات لازالت تحافظ على أهميتها بعد 28 قرنًا. فاليوم أيضًا، في الواقع، "ثقافة الرفاه [...] تقودنا إلى التفكير في أنفسنا، وتجعلنا غير مكترثين بصرخات الآخرين، [...] وتقود إلى اللامبالاة تجاه الآخرين، لا بل إنها تؤدي إلى عولمة اللامبالاة" (عظة قداسة البابا في لامبيدوزا، 8 يوليو/تموز 2013).

وفي النهاية، إننا معرضون لأن نصبح نحن أيضًا مثل ذلك الرجل الغني الذي يحدثنا عنه الإنجيل، والذي لا يهتم بلعازار المسكين وقد "غطت الفروخ جسمه. وكان يشتهي أن يشبع من فُتات المائدة" (لو 16، 20-21). فالرجل الغني في المثل لا يرى معاناة لعازار، بل كان مشغولًا للغاية في شراء ملابس أنيقة وتنظيم الولائم الفخمة. ونحن أيضًا، قد تغاضى عن إخوتنا وأخواتنا الذين يجتازون المحن، لأننا مشغولون جدًا بالحفاظ على رفاهنا.

لكن كمسيحيين لا يمكننا أن نكون غير مباليين بمأساة الفقر بأشكاله القديمة والجديدة، وبأحلك أنواع العزلة، وباحتقار الذين لا ينتمون إلى "جماعتنا" وتميزهم. لا نستطيع التغاضي عن بؤس الكثير من الأبرياء وقلبنا مخدر. لا يمكننا عدم البكاء. لا يمكننا عدم التفاعل. نطلب من الربّ نعمة البكاء، ذاك البكاء الذي يغيّر القلب إزاء هذه الخطايا.

إذا كنا نريد أن نكون رجال ونساء الله، كما يطلب القديس بولس من طيموتياوس، يجب "أن نحفظَ هذه الوصية ونحن أبرياء من العيب واللوم" (را. 1 طيم 6، 14)؛ والوصية هي محبة الله ومحبة القريب. لا يمكن فصلهما! ومحبة القريب كالذات تعني أيضًا الالتزام الجاد ببناء عالم أكثر عدلًا، حيث يستطيع كل فرد الحصول على خيرات الأرض، وحيث يمكن لكل شخص أن يحقق ذاته كفرد وكأسرات، وحيث تُضمن جميع الحقوق الأساسية وتُضمن الكرامة.

إن محبة القريب تعني التعاطف مع معاناة الإخوة والأخوات، والتقرب منهم، ولمس جروحهم، ومشاركة قصصهم، كي نظهر حنان الله بشكل ملموس تجاههم. يعنى التقرب من جميع "المارين" الذين تعرّضوا للضرب وتركوا على طرق العالم، كي نضمّد جروحهم، وننقلهم إلى أقرب مكان يضيغهم، وحيث يمكن توفير احتياجاتهم.

لقد أعطى الله هذه الوصية المقدّسة لشعبه، وختمها بدماء ابنه يسوع، كي يكون مصدر بركة للبشرية جمعاء. كي نلتزم معًا في بناء الأسرة البشرية وفقًا للتدبير الأصلي، التي كُشِفَ لنا بيسوع المسيح: جميعنا إخوة، أبناء الآب الأوحد.

إننا اليوم بحاجة إلى أمّ، ونعهد بالمهاجرين واللاجئين وسكّان ضواحي العالم، مع الذين صاروا لهم رفاق الدرب، إلى حبّ مريم الوالديّ، سيّدة الطريق، سيّدة الكثير من الطرق المؤلمة.

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2019